زياد علي

شاليمار

الى الشاعر الليبي محمد الشلطامي

(١)

حاجز سميك يفصل بينهما ، سميك كسور ياجوج ومأجوج الذي تحكي له امه عنه عندما كان يخاف الستار الاسود ويرفض النوم الا في حضنها ، كل منهما يغلف الثاني بنظراته ، امها لا تمانع ... ابنتها في حاجة الى شاب ، لا يهمها التحديد ، ابتسامتها تشجعه على ان يتمادى ، بساطة الحياة تفرض ذلك .

شيء ما كان يبعده عنها . احساسه بانها فتاة سادسةعشرة، هذه السن حاجز لا يجب ان يصطدم به دائما حظه مع من هن اكبر منه .

ربما لان الطفولة تملأ الكثير من جوانحه ، وربما لانها تعني التقديس او لان صورة ابنته غادة تملأ حجيراته الداخلية .

(٢)

بين يديه « الفقاعة والمثلث » عيناه تسلقان السطور ، احس بعد نهايتها انه يود ان يقول لصاحبها احسنت . (١)

لا زالت تنام بوضعها المقلوب ، رأسها مستقر مع قاعدة الكرسي الشمسي ، وشعرها يكتب على وجه الارض ، ورجلاها تكتبان على وجه السماء ، على عينه نظراتها تتكسر ، فترتد الى الفراش البحري وتقول لها :

ـ انظري انه غبي ، اود لو يفهم انني في حاجة الى من يسبح معي ...

ترفع امها اليه عينيها فيقول لصديقه لا شيء يرمى للبحر ،ان المرء بحاجة الى فراش بحري كبير في السن حتى يستريح من ضجيج اعماقه .(٢)

رمى عقب السيجارة ، سقطت بجوار الثمن الثالث الذي كان يشربه صديقه .

هناك حاجز يفصل بين ابنتك وبيني ، عينا الام تقولان له « انت غبي » انها لم تخترك ، ولكن كما تعرف ان شاطيء « اميلكار » فقير جدا وان المطر الذي سقط في هذا اليوم الصيفي جعل الجميع يهربون الى اماكن اخرى .

ولكنك وصديقك الوحيدان على الشاطيء وابنتي في حاجة اليك اليوم فقط .

قلت لك لا تنظري اليّ . انني افهم ما تعنيه كلماتك ولكن لا داعي للتمادي .

اسقط ذراعه اليسرى على عينيه يتقي اغراء الفراش البحري الصغير والتي اصرت على ان تبقي عينيه معلقتين كبرواز على جسدها .

شيء من الظلام احاط به ، كانت تجر عربات يديها على بعض الهضاب وتقف عند قمة كلمنجارو . وكم كان يتمنى لو سقطت في كهف مظلم اشياء اخرى .

شعرها قصير اصفر كسنابل القمح في سهول بارداي ، ها هي ترفع قدميها في الهواء ، ساقان عاليتان . كل شيء ساخن يذكره بتلك الليلة ، كانت هي الاخرى ترفع ساقيها ،وكان الفرق بينهما ان هذا فراش بحري صيفي وذلك فراش يطرد آلام الرومانيزم من الظهر في ليالي الشتاء .

امامه الحاضر ولم يكن بمقدوره أن يصل اليه . فالماضي جسر لعبور الصباح . وفجأة انتقل من الغرب الى الشرق وترك مسقط رأسه بينهما .

(٣)

منذ مدة ترك فكرة الذهاب الى كلية حامورابي ، كان مكانه المفضل ذلك المقهى الذي يتوسط قلب المدينة وينظر الى ظهر سليمان باشا باستمرار ، قدمتها له صديقة حاولت ان ترفع الكلفة بينهما بسرعة ، ولم يتحدث معها لدقائق .

كانت جريئة

كان حزينا

كانت تريد ان تقتل الرتابة والصمت ، وكان مقبرة .

ـ كيف حالك ؟

سؤالها غريب ، عيناه تبحلقان دون ان تحملا معنى !

ـ تكلم !

ـ عن ماذا ؟..

ـ انت سخيف !

ـ سيقان النساء خلقت لتنصب كاعمدة لا اكثر ..

ـ ارفع صوتك لم اسمعك

ـ كنت احدث شياطيني في الداخل

الصديقة التي قدمتها شعرت بالحرج ، حاولت ان تغير من الجو المشحون ، تمتمت بصوت خافت :

ـ هل وصلتك رسالة من ليبيا ؟

ـ لا

ـ هل ستذهب الى مكان ما ؟

ـ لا ادري !

ـ ما رايك أن تدعونا الى سهـرة ؟

فتحت الصديقة الاخرى حقيبتهـا ثم علقت على ابتسامتها كلمـات خرجت كانهـا تقرر بهـا نهاية السؤال السابق :

ـ انا ادعـوك

جملته خرجت بدون معنى وكانه لم يجد غيرها :

ـ لم اتعود ان تصرف عليّ امراة !

ـ انت سخيف !

ـ هل هناك اسطوانة اخرى تحفظينهـا ؟

ـ لماذا انت متجهم ؟ لماذا لا تجيب بذوق !

ـ تعودت ذلك مع الذي يعتبر نفسه كل شيء !

ـ اكرر دعوتي ، لو تكرمت فانا اعتبرك ضيفي هذه الليلة .

ـ ولكن يجب ان اذهب الى بيتي اولا .

(٤)

وقف التاكسي امام البيت . ربمـا اعتقدت انه سيدعوها للنزول ولكنه نظر الى السائق وقال له بصوت عال :

ـ انتظرنـي خمس دقائق لو تكرمت !

عندما رجع الى التاكسي كان قد استعد الى سهرة كاملة بمـا تحتاجـه . تقودك هي صديقـك الوحيـد .

هذا ما قاله لنفسه وهو يتحسس جيبه !

وصلوا الى ملهـى شاليمار ..

(٥)

الليل يغطي المدينة ، وجنود يغطون جزءا كبيرا من .. قالت امي لا داعـي للتحدث في السياسة ، المكان هادىء جدا وعدد الرواد قليل، الجرسـون يسـالـه :

ـ ماذا يا بيـه ؟

نفس طلباته تطلبها ،عندما وصل الى الشرابفتحت فمها مشدوهة واعتقدت انها لـم تسمع ما قالـه وسالتـه :

ـ اقلت كوكـا كـولا ؟

ـ نعـم

ـ هل تسمح لـي ان اشرب ؟

ـ ولماذا اسمح ؟ تستطيعين ان تفعلي ما يحلو لك !

نظرت الى الجرسون وقالت بصوت خافت :

ـ انا ايضا مثلـه !

لم يسالها اكثر ، عيناه تبحران مع الصاجات والشمعدان ، النور خافت ، وضعـت رأسهـا على كتفه وتنهدت ..

الراقصة تتلوى كسياستنا العربية ، العالم يتكور في اردافهـا على حسب تعبير شاعرة لا يذكـر اسمها ، العالم يتكور في صدرها، فـي بطنهـا .

المراة تصلح لرسم خرائط العالم مجسمة .

استاذنت منه ، عندمـا اقتربت من (المتر) قدمت له شيئـا بيدها ، بعدهـا رجعت الى مكانهـا ووضعت رأسهـا وصدرهـا فـي مكانهـا الاول ، عيناها تلتهمـانه عـلى الضوء الخافت والموسيقـى تلتهم اعصابه وصديقتهـا تلتهم طبق « الجمبري » . الموسيقى تعلـو وتعلو ، انفاسهـا تحرق اذنه ، وكلمـاتها تضرب على طبلتها .

ـ استمع الى هذه القطعة ، هديتـي اليـك

لم يفهم من الاغنية اكثر من « تيك ماي هارت » لم يتعود ان ياخذ من النساء قلوبهـن ، كان ياخذ اشياء اخرى .

ـ الليل يهرب ، يهرب لانه مطارد بتهمـة مساعدته على ارتكاب الجريمة . اتجه ثلاثتهـم الى منزلـه .

تركهـا مع صديقتهـا ، ودخل الحجرة الاخرى ، عندما دخلت واستلقت بجانبه قالت لـه بخبث :

ـ لقد نامـت

ـ انا ايضا اريد ان انـام . فهل ستتركينني ؟

ـ اتخاف منـي ؟

(٦)

حبيبات العرق تتضاخم على جسده يحس لها بوخز .

لماذا كـل هـذا ؟

ان ليالي الشتاء الباردة هي التي اجـبرت عموده الفقـري للروماتيـزم ، وهـو يحس الان بيديهـا تطردانه .

تذكـر صديقه في تلك المدينة الحزينة والـذي يمسك عمود الكهرباء ويطازد الرماتيزم ، هو الاخر في حاجة الى ان يستريـح ويترك غيره يساعده على هـذه المهمـة القاسية . فجاة صرخ بصوت مشروخ :

ـ لنقف عند هذا الحـد .

ـ لا . لا ، ليس هناك حدود بين دولتينا . لا تقتلني بهـذه الطريقـة الباردة .

ـ انا لا اريد منك شيئا ، واقد وضعت لنفسي حـدا يجب ان لا اجتـازه

ـ ان تصرفاتك تعذبني ، ابحر داخل حدودي . يجب ان نتحد

ـ عندمـا تندفعين وراء لحظات تشقين عمرا ، يجب ان ترفضي هذا ، وتتعلمي السكـوت .

ـ آه .. آه الصمت يعذبنـي ارجوك

ـ حاجز كبير يقف بيننا ، انت تستطعين ان تساعديني .

(٧)

انهمرت دموعها المالحـة على شفتيه لتزيـد من عطشه ثم غرست رأسه بيـن كتفيهـا .. كان قلبهـا قريبا جدا وكان ينتفض كطيور الجنة فجاة زرعت رعشتها على جبينه وعندمـا وصلت شفتاها الـى عينيـه رفعتهمـا قليـلا لتقول لنفسها :

ـ لا انسى انـك اول انسان يرفض عبور الطريق الى جسدي، فدعنـي اعبر الطريق الى قلبـك .

(٨)

« لم اجد السعادة في الوطن ولكني وجدت المباحث ! » (٣)

ليبيـا

---

(١) الفقاعة والمثلث : قصة للكاتب التونسي احمد ممو .

(٢) عندما تضج الاعماق : كتاب للاديب الليبي عبدالله القويـري

(٣) يتصرف عن الشاعر العراقي عبدالوهاب البياتي من ديـوان قصائد حب على بوابات العالم السبع .